



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

Analyzing the Qur'anic discourse using the pragmatic approach helps in understanding how language is utilized in the Holy Quran and its impact on the recipient. It seems to us that context is one of the most essential elements necessary for determining the intended meanings, and many interpreters have adopted it to understand discourses and texts and to interpret what is ambiguous among them. In our research, we will present the most important relationships between linguistic context and levels of grammatical analysis in determining the meaning of the text within the Qur'anic discourse through a study of some interpretation books.

Keywords: pragmatics / text / discourse / communication

الكلمات والمفاتيح: التداولية - النص - التحليل
المقدمة:

لقد أصبحت التداولية بما أوجدته من مناهج وبما لها من آفاق واعدة ، تلقي بظلالها على الدراسات النصية في عالمنا العربي ، و هي تعنى بصفة خاصة " بالمخاطب والمخاطب وهما في نظم عملية التلقظ ، ففي الخطاب يخرج النظام من حيز التجرد إلى المنجز الراهن " (1) وفي هذا السياق استُخدمت جملة من المناهج التي تخدم النص ، و تكشف دلالاته ، وكان من أهم تلك المناهج التي تنبّهوا إليها " المنهج السياقي أو المنهج التداولي " ، وقد تعددت مباحثه في كثير من المصنّفات ، منها كُتب التفسير والحديث و الفقه و الخلاف النحوي و غير ذلك ، فأصبح المنهج التداولي أداة من الأدوات المنهجية المهمة في المشاغل التطبيقية

المنهج التداولي في تفسير النص القرآني – دراسة
تحليلية معاصرة

م.م. نجلاء عبود علوان عبد

مديرية تربية القادسية

The Pragmatic Approach in Interpreting
the Qur'anic Text – A Contemporary
Analytical Study

Prepared by: M.M. Naglaa Abod Alwen
Abed

nglialshebinee@gmail.com

ملخص البحث

يعد المنهج التداولي من ركائز تحليل الخطاب في سياقه الاجتماعي والثقافي، ويهتم بكيفية استخدام اللغة في التواصل والتفاعل بين الأفراد وتحليل الخطاب القرآني باستخدام المنهج التداولي يساعد في فهم كيفية استخدام اللغة في القرآن الكريم، وتأثيرها على المتلقي. وقد بدأ لنا أن التحليل من أهم العناصر الضرورية في تحديد الدلالات المقصودة، وقد اعتمده عديد المفسرين في فهم الخطابات والنصوص وتأويل ما أشكل منها وإنما من خلال مقالنا سنعرض أهم العلاقات بين السياق اللغوي ومستويات التحليل النحوي في تحديد معنى النص داخل الخطاب القرآني من خلال دراسة في بعض كتب التفسير وتتبع أهمية هذا المقال من محاولة استثمار أدوات التداولية في فهم النص القرآني، بما يكشف عن أبعاده الدلالية والتواصلية العميقة.

Abstract

The pragmatic approach is one of the pillars of discourse analysis in its social and cultural context. It focuses on how language is used in communication and interaction between individuals.



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

اللساني، وتوفّر المعرفة العميقة وسرعة اكتساب تلك المعرفة العميقة و النوايا الحسنة للمشاركين في الفعل التواصلي (4) يدرس علم استعمال اللغة أو التداولية اللغة في حيز الاستعمال متجاوزاً حدود الوضع الأصلي وإن كان يبني عليه، وذلك لأن مقاصد المتخاطبين لا يمثلها الوضع اللغوي المجرد فقط، ولا يمكن الوصول إليها إلا من خلال فهم اللغة في سياق الاستعمال المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين، يستند فيه المتخاطبون إلى الوضع اللغوي، ويتجاوزونه تلبية لمقاصدهم وأغراضهم الدلالية. التداولية وكونها تبحث عن المعنى، لا شك بأنها ستكون ملتقى الدراسات المختلفة أدبية، قانونية، فلسفية فهذا شأن مسائل المعنى، لأن طبيعة المعنى وتحصيله يتداخل فيه كل ذلك، فكل له من المعنى نصيب في النظر والبحث، وكل يراه من زاويته، لذا فلا غرابة أن تولد التداولية متأثرة بالدراسات الفلسفية والمنطقية والقانونية. ثم تبلورت هذه النظرية اللسانية، ورسمت منهجها الخاص، وحدودها المميزة لها كنظرية مستقلة لها وجودها المستقل عن أسسها الفلسفية والقانونية، فقام هذا المنهج على العديد من المقولات والنظريات التي تطوف حول المعنى التداولي. ويعد أوستن وتلميذه سيرل من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية، ثم تبعهم في تطوير هذا المنهج الفيلسوف بول غرايس في جهوده الكبيرة التي طور بها الدرس التداولي، ولاسيما في حديثه عن مبادئ المحادثة (5) وقد "طرح التداوليون أفكاراً عدة في طريقهم إلى المعنى، فتحدثوا عن القصدية عند المتكلم، وتحدثوا عن أفعال الكلام، وتحدثوا عن أنواع المعنى وذكروا كثيراً من القضايا في سياق استعمال اللغة..، ولكن الملاحظ أن بعض الباحثين الذين درسوا التداولية أنهم قد عكفوا على فكرة واحدة مما ذكره التداوليين وتحدثوا عنها وخصوصها بالتداولية دون غيرها هذا من ناحية. من ناحية أخرى نجد كثيراً ممن تحدثت عن التداولية كمنهج تحدثت عنها مجزأة غير مترابطة، فذكر مجمل أفكارها كما تلقاها عن التداوليين من غير أن ينظمها في عقد يسلسلها بشكل منطقي ويظهر ترابط الأفكار وتتاليها، بحيث تظهر كمنهج أو كنظرية، هذا وإن كنا نلاحظ أن محمد محمد يونس علي تحدثت عن التداولية كمنهج متكامل، وإن كان

لقد أصبحت العلاقة بين السياق اللغوي و مستويات التحليل النحوي في تحديد معنى النص في الأونة الأخيرة حدثاً مطروفاً ، و غرضاً مروماً ، تكلم فيه الباحثون فأكثرُوا ، وقد ظهر لنا أنه ثمة فصل كلام في السياق و التحليل النصي و المعنى ، لم يوفّ حقه من النظر وهو ما دعانا للبحث في المُنجز العربي و الغربي للسياق و علاقته بالنص ، و نص القرآن الكريم بشكل خاص و ذلك بالنظر فيما افترق من مباحثه في كتب اللغة و التفسير ، قصد تجميعها و إخراجها إخراجاً يتلاءم و ما للسياق من القيمة النصية ، و الحضور الوزن في منظومة اللسانيات النصية و تحليل الخطاب. وبالنظر للتداولية فهي دراسة الظواهر اللغوية في مجال استعمالها بالعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي في مجال الفهم و الإفهام، تربط المقال اللغوي

بمبلسات غير لغوية لها دور كبير في تحديد المعنى المقامي كالمرسل والمتلقي، وما بينهما من علاقات اجتماعية من خلال زمن التلفظ والظروف المصاحبة للمخاطب والمتلقي وغيرها من الأمور التي تساعد المتلقي في فهم الخطاب وإدراك قوته الإنجازية(2)

إرهاصات المنهج التداولي:

ما هي التداولية؟

قد اشتقت كلمة (تداولية) من اللفظ اليوناني والذي يعني " فعل، تنفيذ، إتمام،

طريقة التصرف، نتيجة فعل...ويُعدّ الفيلسوف السيميائي الأمريكي موريس أول من استخدمها عام 1938، وأرخص بعلم لم يكن قد ولدَ بعد إذ قال: " التداولية هي هذا الجزء من السيميائية الذي يعالج العلاقة بين العلامات ومتداوليها وترى ان هذا التعريف يفيض

عن المجال اللساني ويتجاوزه لينحو باتجاه السيميائية (3) ويرى الفيلسوف علم المنطق "يهوا بار هيلة" بأن التداولية تتناول العلاقات الجوهرية التواصلية في اللغة الطبيعية بين المتكلم والسامع والسياق اللساني وغير



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

ووفق هذا التصور مازالت التداولية لا تعدو كونها فكرة لا علما قائما بذاته ، بل هي مشروع مستمر ،

وبالفعل فإن ميدانها مازال ضيقاً للغاية ؛ لأنها لا تُعنى إلّا بعدد محدود من ألفاظ اللغة التي تثير مشكلة تعترض التحليل اللساني وه، وهي الإشارات أو الألفاظ التي يتيح شكلها اللساني بمفرده أن يحدد المرجع الذي تحيل إليه أي: الضمائر الشخصية و الظروف(9)

التداولية ما بين عام

1950 حتى: 1970 فلاسفة اللغة: حاولت الفلسفة منذ زمن أرسطو أي من القرن الرابع عشر قبل الميلاد الإجابة على أسئلة منها: ما معنى فهم الرسالة اللسانية؟ وما معنى كلمة أو جملة، وما هو إدراك الدلالة؟

ومن هذا تولدت الرغبة في بحث أسس للرياضيات داخل المنطق منذ القرن التاسع عشر داخل المنظور الوضعي، هذا المطلب الذي يتمثل في خلق منظور شامل يتمتع بلغة مجردة تشبه لغة الرياضيات أدى إلى تطور مختلف فروع المنطق السوري التي تستخدم في براهينها لغات مصطنعة لا يعترئها أي لبس أو غموض، وأنصار هذا التيار الفكري هم من علماء الرياضيات و منهم:

الألماني غوتلوب فريجة (1828-1925) و يعد مبدع أول لغة صورية - البريطانيان وايتهد 1861-1947 و راسل 1870-1970 هؤلاء هم مؤسسو الفلسفة التحليلية الأولى و التي تعتمد التحليل يقوم منها مبدأ استنتاج قضية ما من قضايا أخرى صادقة أي الانتقال من النتيجة إلى السبب ، وهكذا أُقيم جسر يربط الرياضيات باللغة من خلال علم المنطق ، إلى جانب فلاسفة اللغة الأنكلو سكسونيون الذين برزوا بين عامي 1950-1970 ، وهم فلاسفة مدرسة اكسفورد وهم:

بيتر ستراونسن (1919) -جون اوستن(1911)

وقد أهمل هؤلاء اللغة الاصطناعية واعتنوا باللغة الطبيعية؛ أي باللغة العادية وشقوا الطرق أمام التداولية من خلال نظرية الأفعال اللغوية ، عندما لاحظوا أن دور

ترك بعض القضايا التي ذكرها غيره .لذا ففي هذه الصفحات القليلة محاولة لتقديم التداولية بشكل مبسط من خلال القراءة في بعض مصادرها كمنهج مترابط، يضع الأفكار التداولية في منظومة تراعي صيرورة البحث التداولي عن المعنى، بحيث تتالى الأفكار وتتسلسل المسائل بعيداً عن التجزئة غير المترابطة التداولية(6) مراحل نشأة التداولية:

مرة التداولية اللغوية بمراحل نشأة جعلت منها فكرا مستقلا إلا أنه غالبا ما يحدث لغط بين التداولية واللسانيات وهذا ما يستدعي " بعض المنظرين أن يعدوا التداولية جزءا لا يجتزأ من اللسانيات ويتحدثون عن التداولية اللسانية المُدمجة ، بر(اللسانيات) ويرى بعضهم الآخر أن التداولية علمٌ مستقلٌ يتمثل اليوم في أنموذج نظري مستقل هو التداولية المعرفية، وهذا يعني مدى صعوبة توحيد التداولية، سواء من حيث تحديد حقلها التطبيقي أو من حيث تحديد فرضيتها وحتى مصطلحاتها(7)

مرحلة ما بين عامي

(1930-1940): قد ساد ما بين عام 1930 وعام 1940 التقليد المرتبط بالسيماي والمناطق الرياضي الذي يمثله العالمان بورس وشارل موري والذي يعتبر أن نظام لغوي (اللغة الطبيعية واللغة الاصطناعية) يتكون من علم النحو الذي يدرس العلاقات بين العلامات، وعلم الدلالة الذي يدور على الدلالة التي تتحدد بعلاقة تعيين المعنى الحقيقي القائم بين العلامات وما تدل عليه المراجع الثلاثة:

1- أشياء العالم

2- الحالات والأحداث والأفعال التي يتم التحقق من وجودها من خلال العالم

3- مجمل القيم الصدق الكذب، وعلم الدلالة الذي يُعنى بالعلامات القائمة بين العلامات ومستخدميها(8)



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

المكون اللساني للجملة ، و خلافا للتداولية المعرفية فإن التداولية المدمجة غير مشروطة بالصدق ذلك أن مشروطة الصدق ترتبط بعلم الدلالة لا بعلم التداول و تهدف إلى إظهار الاختلافات بين اللغة الطبيعية و اللغة الصورية و من هذا يمكن أن نستنتج أن أهم مراحل التداولية كانت ما بين عامي " 1930 و 1990 " من هذا يمكن لنا القول إن التداولية اتجه جديد في دراسة اللغة من الجانب الوظيفي ومنهج التقى فيه دارسون مختلفون جمعهم بعض القضايا واختلفوا في تناولها حسب توجهاتهم ومدارسهم.

هذا وإن أهمية التداولية تكمن في فهم مجمل المؤشرات المحيطة بفهم المعنى من

خلال التواصل و نوايا المتكلم والاقضاء والتضمين قصد تحقيق أغراض بعينها ولا يعتمد فقط على البنية الصوتية والتركيبية ولا الدلالية للملفوظ

كما تُعنى التداولية بدراسة اللغة عند استعمالها في الطبقات المقامية المختلفة، فهي ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي أو هي علم يكتفي بوصف البنى اللغوية وتفسيرها ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة، ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال ودمج من ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره وتعنى التداولية بوصف العلاقات القائمة بين المرسل والمرسل إليه في إطار عملية التواصل، وتعنى بالحدث اللغوي بوصفه تعابير مدرجة .

النص: والنص لغة : تتعدد المعاني اللغوية لمادة (ن)، (ص، ص) فهي تدلّ على الرفع بنوعية الحسي والمجرد (11) ، وتدّل كذلك على أقصى الشيء وغايته، ومنه نصّ الناقة أي استخراج أقصى سيرها ، وعلى الاستقصاء أي الإحاطة ، وهو متّصل بالمعنى السابق ، ومنه (نصّ الرجل نصّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصى كلّ ما عنده (12)).

ومن دلالاتها كذلك الإظهار (13) انظر لسان العرب مادة نصص

اللغة لا يقتصر على وصف الواقع ، بل يتعداه إلى ممارسة الفعل من خلال تغيير الواقع ، وهذا بدوره يشير إلى تطور ميدان التداولية إذ أصبح أكبر مما كان يتصوره السيميائيون خلال السنوات الممتدة بين 1940- 1930 ومن هنا نجد التداولية قد نمت لطورها الجديد الذي اكتسبها قوام علم بحد ذاته(10)

التداولية من عام 1980حتى عام 1990 لقد اكتسبت التداولية أهمية كبيرة عقب الإسهام الكبير

الذي قدمه فلاسفة اللغة الأنكلوسكسونيون تطورت خلالها إلى فرعين هما:

3-1التداولية المعرفية والتي شهدت تطورا جديدا من الثمانينيات بل سبعينيات القرن الماضي وبسطت نفوذها لتشمل ميادين جديدة صُنِّفت على غرار اللسانيات وهي، علم الأصوات و علم النحو وعلم الدلالة ضمن العلوم التجريبية أي القائمة على التجربة ، و غالبا ما تقترب التداولية المعرفية من علم اللغة الاجتماعي عندما تركز على وظائف اللغة ليس على تركيبها ، ومن الواضح أن تطور العلوم في الثمانينيات قد أسهم بشكل كبير في تطور التداولية و في تحديد التيار المعرفي فيها ، هذا و تعد التداولية المعرفية نظرية مشروطة الصدق تهدف إلى قيام الفرد ببناء أفضل تصور ممكن لنفسه ، فإن احد أهدافه هو منح قيمة دلالية للجملة ، هذا و تُعنى التداولية المعرفية بجميع المظاهر الملائمة لتأويل الجمل تأويلا كاملا وفقا للسياق

التداولية المندمجة : ويرى فيها بعض الباحثين الفرنسيين ضرورة أن تضاف

التداولية إلى علم الدلالة ، من أجل تحليل الجوانب التي لا يعالجها علم الدلالة مثل وصف مقام التواصل ، وشروط نجاحه و دراسة الكلمات و تحليل مقام الإبلاغ التي تستقي دلالاتها من معطيات مقام التواصل أي معطيات موجودة خارج اللغة نفسها ، و ينظر علم التداولية إذا على أنه نظرية دلالية تدمج في نظام الترميز اللساني جوانب مرتبطة بالتلفظ نفسه ، فمعنى الملفوظ ينتج عن الجمع بين المعلومات اللسانية التي تنتمي إلى



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

فَبَدَّتِ الوصِيَّةُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: مَنْ بَعَدَ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ [النساء: 11] بَعْدَ الزِّيَادَةِ عَلَى التَّلْتِ، بِحَدِيثِ سَعْدِ التَّلْتِ، وَالتَّلْتِ كَثِيرٌ

النَّصُّ فِي اصْطِلَاحِ الْأَصُولِيِّينَ :

وإن كان عامًّا بَقِيَ على عُمومه حَتَّى يَدُلَّ دَلِيلٌ على تَخْصِيصِهِ، كما خُصِّصَ الْعُمُومُ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: وَأَجَلٌ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ [النساء: 24] بِقَوْلِهِ تَعَالَى: وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكَحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا (الأحزاب: 53) وَيَبْقَى اللَّفْظُ -سِوَاهُ- كَانَ خَاصًّا أَوْ عَامًّا- على حَقِيقَتِهِ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ على أَنَّ الْمُرَادَ بِهِي نَظَر

وقيل: ما لا يَتَطَرَّقُ إليه هو ما لا يَتَطَرَّقُ إليه اِحْتِمَالٌ أَصْلًا، لا على قُرْبٍ ولا على بُعْدٍ اِحْتِمَالٌ مَقْبُولٌ يُعْضِدُهُ دَلِيلٌ، فَأَمَّا اِاحْتِمَالُ الَّذِي لا يُعْضِدُهُ دَلِيلٌ فلا يُخْرِجُ اللَّفْظَ عن كَوْنِهِ نَصًّا

وقيل: ما اِحْتَمَلَ اِحْتِمَالًا مَرْجُوحًا كَالظَّاهِرِ، وهو الغالبُ فِي إِطْلَاقِ الْفُقَهَاءِ وَقيل دلالة الكتاب والسنة المطلقة شرحُ التَّعْرِيفِ الْمُخْتَارِ:

تُعَدُّ النصوص المكتوبة من التراث البشري القِيمِ، والذي كان فَهْمُهُ الصَّحِيحَ يَشْكَلُ - ولا يزال - هاجسَ الإنسان. وفي هذا الشأن يُعَدُّ الفهم الصحيح للنصوص المقدسة - ومنها: القرآن الكريم - في غاية الأهمية، وإن هذا الأمر يجعل من الاهتمام بالاتجاهات والنظريات المختلفة التي ظهرت في مجال تفسير وفهم النصوص أمراً ضرورياً. وقد اختار الباحثون اتجاهاتٍ مختلفة في هذا الشأن، وهي تتدرج ضمن ثلاث مجموعات كما يلي: محورية المؤلف؛ ومحورية المفسر؛ ومحورية النص.

معناه: أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ أَفَادَ حُكْمًا وَمَعْنَى وَاِجْدًا فَقَطْ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَطَرَّقَ إِلَيْهِ أَيُّ اِحْتِمَالٍ آخَرَ أَصْلًا، فَخَرَجَ بِذَلِكَ اللَّفْظُ الظَّاهِرُ؛ فَإِنَّهُ قَدْ أَفَادَ مَعْنَى بِنَفْسِهِ، لَكِنْ مَعَ اِحْتِمَالِ مَعْنَى آخَرَ وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا. (14)

ومثاله: أَلْفَاظُ الْأَعْدَادِ، كَلَفْظِ (الْخَمْسَةِ) مِثْلًا؛ فَإِنَّهُ نَصٌّ فِي مَعْنَاهُ لا يَحْتَمِلُ السَّبْطَةَ وَلَا الْأَرْبَعَةَ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ

يذهب أصحاب اتجاه محورية المؤلف إلى القول بأن المؤلف هو المقوم لمعنى النص، وإن الغاية من الفهم هي الوصول إلى مراده. ويعود هذا القول بجنوره إلى القراءة التقليدية للكلام المسيحي، وهو متقدم على الاتجاهين الآخرين من الناحية التاريخية. وقد تمّ القبول بهذا الاتجاه التفسيري في الهرمنيوطيقا التقليدية (15). كما ذهب إريك هيرش - وهو من أبرز الناقدين للهرمنيوطيقا الفلسفية - إلى هذا الاتجاه أيضاً، فقد أكد على تعين وخلود مفهوم النص، وقال بأن نية المؤلف هي المعنى الخالد للنص، وهو المعيار الأول والأخير لمختلف الأفهام من النص. (16)

الأعداد، كما في قول الله تعالى: تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ [البقرة: 196]؛ فَإِنَّ هَذَا اللَّفْظَ نَصٌّ فِي الْحُكْمِ؛ حَيْثُ إِنَّ مَجْمُوعَ الثَّلَاثَةِ فِي الْحَجِّ وَالسَّبْطَةِ إِذَا رَجَعَ هِيَ عَشْرَةٌ فَقَطْ بَدُونَ زِيَادَةٍ أَوْ نَقْصَانٍ.

وكذلك أسماء الأعلام، كزبيد؛ لدلالته على الشخص بعينه، وكلفظ (الفرس)؛ فإنه لا يحتمل الجمار والبعير وغيره.

فكل ما كانت دلالاته على معناه في هذه الدرَجَةِ سُمِّيَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَعْنَاهُ نَصًّا

ويذهب القائلون بمحورية النص - من خلال أخذ بنية اللغة والعناصر الداخلية للنص - إلى الاعتقاد بضرورة فهم النص بمعزلٍ عن نية المؤلف. فإن المؤلفين من

يَجِبُ الْعَمَلُ بِمَدْلُولِ النَّصِّ حَتَّى يَقُومَ دَلِيلٌ على تَأْوِيلِهِ أَوْ تَفْسِيرِهِ أَوْ وَقَدْ نَفَى ابْنُ رُسْدٍ الْخِلَافَ فِي وُجُوبِ الْعَمَلِ بِهِ قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ: (وَأَمَّا حُكْمُ النَّصِّ: فَتَلَفُّيهِ بِالْإِعْتِقَادِ لَهُ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَلَا يُتْرَكُ إِلَّا بِنَصِّ يُعَارِضُهُ) فَإِذَا كَانَ النَّصُّ مُطْلَقًا بَقِيَ على إِطْلَاقِهِ حَتَّى يَدُلَّ دَلِيلٌ على تَقْيِيدِهِ، كما



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

- الاهتمام بمراد الله تعالى

إن من بين الخصائص الأصلية لمحورية المؤلف الاهتمام بمراد المؤلف، والسعي إلى اكتشافه. وإن هذا الشاخص واضح للعيان في التفسير الإسلامية، وفي كلام المفسرين المسلمين فهم المراد للتفسير. هوية لقد ذهب الكثير من المفسرين والمختصون في علوم القرآن إلى التأكيد - في التعريف الذي قدموه للتفسير - على فهم المراد الجدّي لله سبحانه وتعالى في التفسير، وإن هذا التأكيد يمثل دليلاً قاطعاً على محورية المؤلف من وجهة نظرهم، والاهتمام بنية الله سبحانه وتعالى بصفته الموجد للقرآن الكريم. لقد ورد التأكيد في هذه التعاريف على فهم المراد الجدّي لله تعالى من الآيات كغاية للتفسير. وإن المفسرين الذين لم يتعرّضوا لبيان تعريف التفسير، أو لم يؤكدوا في تعريفهم على فهم المراد، قد اهتموا في نشاطهم التفسيري بمعرفة مراد الله الأمر الذي يثبت أنهم كانوا يرون بدورهم أن الغاية الأصلية للتفسير هي فهم مراد الله تعالى، بيد أنهم لم يؤكدوا على هذا الأمر؛ اعتماداً منهم على وضوحه، وعدم وجود التشكيكات التي ظهرت حديثاً في هذا الشأن. ومن هنا يمكن القول: إن فهم مراد الله تعالى يشكّل - من وجهة نظر المفسرين المسلمين - هوية التفسير.

ومن المفسرين الذين صرّحوا بفهم مراد الله تعالى من آيات القرآن في تعريفهم للتفسير: الراغب الأصفهاني، والكافيجي والطريحي، والخوئي، والطببائي، والألوسي، وعبد الحسين الطيّب، ومصطفى الخميني.

ومن ذلك أن الكافيجي - على سبيل المثال - قال في تعريف التفسير: «وأما التفسير في العرف [عرف المسلمين] فهو كشف معاني القرآن وبيان المراد»

كما عرف العلامة الطببائي بدوره التفسير بأنه عبارة عن «بيان معاني الآيات القرآنية، والكشف عن مقاصدها ومداليلها» (18)

إن أقسام معارف القرآن، من وجهة نظر الشيخ الطوسي، عبارة عن:

وجهة نظر هؤلاء - الذين يُعرفون بالبنويين - يقعون أسرى لقيود اللغة،

«وإن كلّ ما يقدر على تركيب الكتابات الموجودة من ذي قبل، وضمّها إلى بعضها، أو العمل على إعادة نشرها وتوسيعها» (17). إن محورية النصّ تقوم على استقلالية النصّ عن أي أمر من خارجه، سواء أكان ذلك الأمر الخارجي هو المؤلف أو المفسّر. وعلى هذا الأساس فإن محورية النصّ تقع في مقابل الرؤية التقليدية للتفسير، والتي تبحث عن المعنى في نية المؤلف، كما تقع في مقابل الهرمنيوطيقا الفلسفية التي تعمل - بالإضافة إلى النصّ - على إعطاء دور للمفسّر في إيجاد المعنى أيضاً. إن الشواخص الأصلية للبنويّة في فهم النصوص عبارة عن: استقلال النصّ عن المؤلف والمفسّر، وإيجاد البنية للمعنى، وعدم الاحتياج إلى أمر آخر غير النصّ لفهمه وإن التفكيكين الذين يعطون كامل الدور في إيجاد المعنى للمفسّر، ولا يعطون أي دور للنصّ وغيره، يجنحون إلى الإفراط في هذا الشأن بيد أنهم في الهرمنيوطيقا الفلسفية - بالإضافة إلى المفسّر - يرون دوراً للنصّ في إيجاد المعنى أيضاً. إن الفهم والمعنى من وجهة نظر الهرمنيوطيقا الفلسفية يتحقّقان بفعل الاقتران بين الأفق الذهني للمفسّر وأفق النصّ، وعلى هذا الأساس يكون أفق النصّ دخيلاً ومؤثراً في إيجاد المعنى أيضاً.

لقد كان للمسلمين، ولا زال لهم، أساليب متنوّعة واتجاهات متعدّدة في تفسير القرآن الكريم. فما هو الاتجاه الذي اتّخذه المفسّرون المسلمون من الاتجاهات الثلاثة في تفسير النصوص؟ وهل كان لجميع المفسّرين المسلمين - على الرغم من اختلافهم في الأساليب والمناهج - اتجاّه واحد في التفسير أم كان اتجاّهم في تفسير القرآن مختلفاً أيضاً؟

وعلى الرغم من تعدّد الأساليب والاتجاهات التفسيرية، هناك في مقدّمات ونصوص هذه التفاسير الكثير من الشواهد الدالة على محورية المؤلف عند المفسّرين المسلمين. وإن أهمّ الخصائص على محورية المؤلف عند المفسّرين المسلمين ما يلي:



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

أيضاً - هي الاهتمام بالإشارات والرموز الباطنية للآيات.

وهناك مَنْ رأى فَرْقاً بين التفسير الباطنية والتفسير الصوفية، وقال بأن التفسير الباطنية لا تهتمّ بالظواهر، وأما التفسير الصوفية فهي التفسير التي تهتمّ - من وجهة نظره - بظواهر الآيات أيضاً.

وقد عدَّ أبو حيان التفسير الباطنية من التفسير الإلحادية، حيث قال بأن أصحابها يعمدون إلى إخراج الألفاظ عن معانيها ومدليلها اللغوية، وهم بذلك يقومون بنسبة ما يهزون به إلى الله، سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً. ولكنّه في المقابل يرى إمكان الاستفادة من التفسير الصوفية، ولا يعتبرها من التفسير الإلحادية.

كما عمد ابن عجيبة بدوره - في مقدّمة تفسيره، بعد بيان بعض الكلمات عن كبار الصوفية حول بطون الآيات - إلى التأكيد على أن الاهتمام ببطون الآيات لا يعني تجاهل ظواهر الآيات. ثمّ نقل عباراتٍ عن بعض كبار الصوفية في تأييد هذه النقطة. وقد ذهب ابن عجيبة بدوره - مثل أبي حيان - إلى التفريق بين التفسير الباطنية والتفسير الصوفية، وعرّف الباطنية بأنهم أشخاص لا يهتمون بظواهر القرآن الكريم، خلافاً للصوفية الذين لا يعني اهتمامهم بباطن الآيات تجاهلاً ونفياً لظواهرها. وقد نقل كلاماً تفصيلياً عن (طائف المزن)، (20) وقد تمّ الاستناد فيه إلى اهتمام الصوفية بظواهر الآيات ومرادات الله سبحانه وتعالى

لسنا هنا بصدد تقييم ونقد التفسير العرفانية والتفسير الباطنية، وبيان الاختلافات بينهما، إنما نسعى إلى مجرد إثبات أن

ما ذكره كُتّاب هذا التفسير في ضوء مدّعاتهم قد تمّ اعتباره بوصفه مراد الله تعالى. فقد ذهب أبو حيان الأندلسي من خلال الإشارة إلى أحد كتب التفسير الصوفية، وبعد الإعراب عن عَجَبه واستغرابه من اشتغال هذا التفسير على بعض المطالب التي لا يمكن أن تخطر على ذهن أحد - إلى التصريح بأن صاحب هذا التفسير قد اعتبره مراد الله تعالى

1- المعارف التي اختصّ الله تعالى بعلمها

2- الآيات التي يكون ظاهرها مطابقاً لمعناها فكلُّ مَنْ عرف اللغة العربية عرف معناها

3- الآيات المُجمّلة التي لا يُنبئ ظاهرها عن المراد منها بالتفصيل

4- الآيات التي يكون اللفظ فيها مشتركاً بين معنيين، وبذلك يمكن أن يكون كلّ واحدٍ منهما هو المراد

وقد استعمل الشيخ الطوسي في الحالتين الثالثة والرابعة التعبير بـ «المراد». وعليه يكون مراده من «المعنى» الذي

استعمله في القسم الأول، وكذلك المراد من «معاني القرآن» الذي استعمله في أصل التقسيم، هو معاني المراد. ويتّضح جلياً من كلمات الشيخ الطوسي في هذا التوبيخ أن المهمّ من وجهة نظره في فهم معارف القرآن الكريم هو الوصول إلى مراد الله سبحانه وتعالى من الآيات. (19)

كما عمد أبو الفتوح الرازي - مثل الشيخ الطوسي - إلى تقسيم «معاني القرآن» إلى أربعة أقسام أيضاً وإن العبارات التي يستعملها، وكذلك الأمثلة التي يذكرها لكلِّ من الأقسام الأربعة لمعاني القرآن، تشبه كلمات الشيخ الطوسي في تقسيم معارف القرآن. وعليه فإن كلّ ما ذكرناه بشأن تقسيم الشيخ الطوسي، وطريقة استفادته لمحورية المؤلف في التفسير، يردُّ بعينه في تقسيم

أبي الفتوح الرازي أيضاً الاستناد إلى مراد الله في الاتجاهات التفسيرية المختلفة.

أ- التفسير العرفانية

لقد تمّ تأليف بعض التفسير على أساس الاتجاه العرفاني، وهي تُعرّف بـ «التفسير العرفانية». وإن الخصوصية المشتركة في التفسير العرفانية - والتي يتمّ التعبير عنها بالتفسير الرمزية والإشارية، وكذلك التفسير الصوفية



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

لقد قال السيد حيدر الأملي، في البحث الثالث من المقدمة الأولى من كتابه، والتي هي في تعريف التأويل، - وبعد ذكر مطالب حول مراتب ومعاني الهداية في القرآن -، قال في بيان «المراد من الكتاب في آيات القرآن»: «بعد إثبات ما تقدّم عليك أن تعلم أن مراد الله تعالى من «الكتاب» في قوله: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة: 2) هو الكتاب الأفقيّ الجامع للكتاب الإنسانيّ الصغير (ب - التفسير الاجتماعيّ

لقد اتّجه بعض المفسّرين إلى القرآن الكريم بوصفه كتاباً يمكنه تلبية المسائل الاجتماعية، وصاروا بصدد العثور على سبل الهداية من القرآن في المسائل الاجتماعية. ويتمّ التعبير عن هذا الاتجاه في التفسير بـ الصبغة الاجتماعية ، أو الاتجاه الاجتماعيّ.»

وقد اعتبر الذهبي أن إحدى خصائص التفسير في القرن الرابع عشر تكمن في صبغته الأدبية - الاجتماعية، وقال بأن تفسير المنار يأتي في طليعة التفسير الأدبيّ - الاجتماعيّ في مجال كتابة التفسير (21). إن الاهتمام باكتشاف مراد الله تعالى من بين خصائص محورية المؤرّف ، التي تجلّت في هذه التفسير أيضاً.

لقد قال مؤلّفو كتاب تفسير المنار، في ضوء الضرورة التي يرونها من أجل الحصول على مقاصد القرآن في هداية الناس، بأن كلّ تفسير يشكّل مقدّمةً للهداية وإثبات السنن الإلهيّة للقارئ فإنه يشتمل على أسلوبٍ صحيح في التفسير، وإن كلّ تفسير لا يوصل الإنسان إلى هذه الغاية لن يكون مُجدياً، من وجهة نظرهم.

وقد قسّموا التفسير إلى نوعين، وهما:

1- تفسير جافّ وخالٍ من الروح، مُبْعَدٍ عن الله، وعن كتابه، وهو ما يقصد به حلّ الألفاظ، وإعراب الجمل، وبيان ما ترمي إليه تلك العبارات والإشارات من النُكْت الفنيّة. وهذا - من وجهة نظرهم - لا ينبغي أن يُسمّى تفسيراً، وإنما هو ضربٌ من التمرين في الفنون، كالنحو والمعاني وغيرهما.

كما نرى التأكيد على مراد الله تعالى في التفسير العرفانية المتعدّدة وبمختلف التعبيرات

وقد ذهب بعض المفسّرين إلى اعتبار الوقوع في الخطأ في الوصول إلى مراد الله أحد أسباب الحاجة إلى التفسير. ومن ذلك - مثلاً - أن الملاً حويش آل غازي عبد القادر قد أكّد في بيان وجه الحاجة إلى التفسير على هذه النقطة، وهي أن القرآن كان في الحدّ الأعلى من الفصاحة والبلاغة، إلّا أن بعض الأشخاص يخطئون في الوصول إلى مراد الله تعالى، ويكون الحصول على مراد الله بالنسبة إليهم مشكلاً، ومن هنا تكون بحاجة إلى تفسير القرآن. وقد نبّه فضيلته إلى أن هذه المشكلة لا تختصّ بالعصر الراهن فقط، بل كانت هذه المشكلة قائمةً في عصر النزول أيضاً، وعليه فإن الحاجة إلى التفسير لا تقتصر على عصرنا فقط، وإن كانت هذه المشكلة قد اشتدّت في عصرنا بشكلٍ أكبر، وبذلك يتمّ إثبات الحاجة إلى التفسير بطريقٍ أولى

ورد التأكيد في بعض التفسير العرفانية على هذه النقطة، وهي أن الوصول إلى مرادات الله تعالى أمرٌ مهمّ وأساسيّ، وإن فهم القرآن الكريم يمثّل طريقاً للوصول إلى هذه الغاية. ومن ذلك - على سبيل المثال - أن التستري يعتبر القرآن حبلاً سماوياً بين الله وعباده، وإن كلّ مَنْ يتمسك به يكون سبيله هو النجاة. وعندما سُئل عن مراده من هذا الكلام قال: ليس للناس من طريق إلى الله سوى القرآن الكريم وفهم ما ورد في القرآن خطاباً للناس؛ حيث يمثّل ذلك طريقاً للوصول إلى مراد الله منهم.]]

قد تمّ التصريح ببيان مراد الله في موارد متعدّدة من التفسير العرفانية؛ الأمر الذي يثبت أنهم بصدد الحصول على مراد الله تعالى. ومن ذلك - على سبيل المثال - أن التستري قد تحدّث في تفسير الآية 30 من سورة البقرة، التي تتحدّث عن نهي الله تعالى للنبي آدم (عليه السلام) عن الأكل من الشجرة المحرّمة، قائلاً: «لم يُرد الله معاني الأكل في الحقيقة، وإنما أراد معاني مساكنة الهمة مع شيءٍ هو غيره» كما أنه في المعنى الذي ذكره لـ «الرّهبة» في قوله تعالى: ﴿وَأَيُّ قَارِهُونَ﴾ (البقرة: 40) قد عدّه مراد الله صراحةً



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

2- الآيات التي تحتاج إلى مجرد شرح اللفظ والمطالب الخاصة بالعلوم المتداولة، من قبيل: الصرف والنحو فقط، ولا تحتاج إلى بيان المعصوم في الوصول إلى المراد منها.

- الآيات التي يكون معناها واضحاً، ولا تحتاج إلى بيان 3

وقد أشار الفيض الكاشاني - بعد بيان منهجه في كلّ من هذه الأقسام المتقدمة - إلى هذه النقطة، قائلاً: «وربما يُخوِّجنا تمام الكشف من المقصود إلى ذكر شيء من الأسرار.»

إن هذه العبارة منه تثبت اهتمامه بالكشف عن المقاصد الإلهية بشكلٍ صريح.

د - التفاسير الكلامية

لقد تعرّضت بعض التفاسير إلى تفسير آيات القرآن الكريم في ضوء الاتجاه الكلامي، وأبدت اهتماماً بالغاً بالأبحاث الكلامية بما يتناسب مع تفسير تلك الآيات. ومن أبرز هذه التفاسير تفسير الفخر الرازي، فقد اهتم بالفخر بالكشف عن مراد الله تعالى من الآيات. وفي ما يلي نعمل على بيان بعض نماذج ذلك

ذكر الفخر الرازي، بعد بيان معاني الاستعاذة، بعض النقاط، حتّى قال في النقطة التاسعة عشرة: «الشيطان عدوك، وأنت عنه غافلٌ غائب، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ (الأعراف: 27)، فعلى هذا لك عدوٌّ غائب، ولك حبيبٌ غالب لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ﴾ (يوسف: 21)، فإذا قصدك العدو الغائب فافزع إلى الحبيب الغالب. والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده. (37)» فحيث قال الفخر في الختام: «الله سبحانه وتعالى أعلم بمراده» يتضح أنه قد اعتبر وجوب اللجوء والاستعاذة بالله الغالب من العدو الغائب - الذي يُستفاد من ضمّ الأيتين السابقتين إلى بعضهما - مراداً لله سبحانه وتعالى، وأنه يرى في الأساس أن الغاية من التفسير هي الوصول إلى مراد الله تعالى.

22- التفسير الذي يضع الأبحاث النحوية والبلاغية وأمثال ذلك كمقدمة للوصول إلى مراد الله، وحكمة التشريع في العقائد والأحكام، على الوجه الذي يجذب الأرواح، ويسوقها إلى العمل والهداية المودعة في كلام الله؛ ليتحقّق فيه معنى قوله تعالى: «هُدًى ورحمة»، ونحوهما من الأوصاف. فالمقصد الحقيقي وراء كلّ تلك الشروط والفنون هو الاهتداء بالقرآن.

ج - التفاسير الروائية

تنقسم التفاسير الأثرية إلى قسمين، وهما: التفاسير الأثرية المخصّصة؛ والتفاسير الأثرية - الاجتهادية. وفي القسم الأوّل يعمل المفسّر على بيان ما ورد عن المعصومين (عليهم السلام) في تفسير الآية، ولا يُبدي أيّ كلامٍ في تبينه أو تحليله. وأما في التفاسير الأثرية - الاجتهادية فلا يكتفي المفسّر بذكر الروايات فقط، وإنما يمارس عملية تفسير الآيات مستنداً إلى الروايات.

في التفاسير الأثرية يتم العمل على نقل الأحاديث أو المطالب التي تعكس اهتمام أصحاب هذا الاتجاه التفسيري بمقاصد الله سبحانه وتعالى ومراداته.

يُعدّ تفسير «مرآة الأنوار ومشكاة الأبرار» أحد التفاسير الروائية، التي تسعى إلى بيان الروايات المبيّنة لباطن الآيات. وقد عمد مؤلف هذا الكتاب إلى اعتبار المعاني الباطنية المذكورة للآيات في روايات المعصومين - مثل المعاني الظاهرية - مراداً لله سبحانه وتعالى حيث يُستفاد منه بوضوح الاهتمام بمراد الله تعالى في التفسير.. (22)

لقد ذكر الفيض الكاشاني تقسيماً لآيات القرآن الكريم، يحكي عن اهتمامه بفهم مراد الله تعالى من الآيات. وقد عمد، في المقدمة الثانية عشرة من مدخل تفسير الصافي، إلى تقسيم آيات القرآن - من حيث الحاجة إلى البيان، وكذلك نوع البيان مورد الحاجة - إلى ثلاثة أقسام، وهي:

- الآيات التي لا يكفي فهم مفادها الاستعمالي في بيان مرادها، وإنما تحتاج إلى بيان وتفسير 1.



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

العالمين ورحمته للمخلوقين على العبادة وهداية الصراط المستقيم، كأنه يشوقكم إلى دراسة رحماته، ويأمركم بمعرفة كلماته الكونية، وآياته الرحمانية، وعجائبه الحكمية

ويُضَح من كلمات الطنطاوي أنه يعتبر كل ما ذكره في تفسيره من العلوم التي حثَّ الله سبحانه عليها. وفي الحقيقة إنه، بالإضافة إلى اعتبار أنه إنما يبيِّن معاني الآيات والمقاصد الإلهية، يرى أنه قد توصَّل - بزعمه - من كلمات القرآن إلى العلوم التي شجَّع الله المسلمين عليها، ومن هنا فقد عمد إلى إدراج تلك العلوم في كتابه.

و - التفاسير المادية

لقد بلغ التأثير والشَّعْف لدى بعض المسلمين بالعلوم التجريبية بحيث أراد تفسير جميع ما ورد في القرآن الكريم على أساس معطيات العلوم التجريبية. وفي الحقيقة كانت العلوم التجريبية بالنسبة إلى هؤلاء هي الأصل، وكانوا لذلك يسعون بشتى الطرق إلى تفسير الآيات، بحيث يتم تطبيق القرآن عليها. وقد عمدوا في الحقيقة إلى الإعراض عمَّا وراء المادة، وأرادوا تفسير جميع الآيات تفسيراً مادياً. لقد سلك هؤلاء منهجاً خاطئاً في تفسير آيات القرآن، ولكن حيث كانت محورية المؤلف هي المقبولة بين المسلمين، فقد عرَّفوا عن منهجهم المذكور بأنه هو المراد من قِبَل الله تعالى. وإن من أبرز التفاسير المادية تفسير (تفهيم)، السيد أحمد خان الهندي.

إن من بين الأصول - التي يرى السير السيد أحمد خان ضرورتها، قبل الخوض في التفسير - أنه لا يمكن الاستدلال على شيء في ضوء الاعتماد على ظاهر الكلام، بل يجب العمل أولاً على تحصيل مراد المتكلم، وبعد ذلك يمكن الاستدلال عليه. كما أنه يذهب إلى عدم اعتبار مطلق حمل اللفظ على خلاف الظاهر تأويلاً، بل لو اتَّضح؛ بسبب بعض القرائن، أن ذلك الأمر المخالف للظاهر هو المراد للمتكلم لا يكون ذلك تأويلاً. فهو يرى أن التأويل إنما يكون في حمل الكلام بحيث يتطابق مع المعطيات القطعية، خلافاً لمراد المتكلم. وفي ما يلي نذكر خلاصة عبارته بشأن الأصل الذي تقدّم ذكره: في

عمد الفخر الرازي، في تفسير سورة الحمد، إلى بيان مراتب ودرجات المكاشفات، ورأى أن المرتبة الأولى منها هي هداية القلب إلى النور؛ حيث قال: «وهو المراد من قوله تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة: 6)» (23). وقد أكد هنا على مراد الله سبحانه وتعالى.

3- وقال في إثبات ضرورة المعاد: «واعلم أن مَنْ سَلَط الظالم على المظلوم، ثم إنه لا ينتقم منه؛ فذاك إما للعجز؛ أو للجهل؛ أو لكونه راضياً بذلك الظلم. وهذه الصفات الثلاثة على الله تعالى محال؛ فوجب أن ينتقم للمظلومين من الظالمين؛ ولما لم يحصل هذا الانتقام في دار الدنيا وجب أن يحصل في دار أخرى بعد دار الدنيا، وذلك هو المراد بقوله: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة: 4) وبقوله: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (الزلزلة: 7)». وقد استفاد الفخر الرازي من هذه الآية أمراً، واعتبره هو المراد من كلام الله سبحانه وتعالى أيضاً.

لقد أبدى بعض المفسرين اهتماماً خاصاً بالمعطيات العلمية في التفسير. وقد سُمِّي هذا الاتجاه في التفسير بـ «التفسير العلمي» (24). وإن من هذه التفاسير العلمية - التي خرجت في الكثير من الموارد عن المنهج الصحيح للتفسير، وجنحت في أودية التطبيق - كتاب الجواهر، للطنطاوي. وفي ما يلي سوف نذكر بعض عباراته، التي تثبت أنه كان يرى أن ما ذكره هو الذي أراد الله سبحانه وتعالى، بزعمه. ويبدو من بعض كلمات الطنطاوي بوضوح أنه كان يعتبر كل ما ذكره من العلوم التجريبية في تفسيره هو مراد الله سبحانه وتعالى.

خاطب الطنطاوي، بعد أن عمد إلى تعريف القرآن الكريم بوصفه كتاباً دعا إلى مختلف العلوم المرتبطة بالتكوين، المسلمين، قائلاً: «فيا أيها المسلمون: اطلبوا علوم الغذاء، وعلوم الدواء؛ أي العلوم الكونية، والعلوم الشرعية، وجميعها يطلبها القرآن، وقد اعتنى بعلوم الغذاء أشد من عنايته بالدواء» وبعد بيان هذه العبارات ذهب إلى الاعتقاد بأن أسلوب المسلمين في عدم الاهتمام بالعلوم المرتبطة بالطبيعة يكمن في تخليهم عن منهج الله سبحانه وتعالى، وقال في ذلك: «فما لي أراكم عمَّا قدَّمه الله معرضين، وعلى ما أخره الله عاكفين؟! قدَّم تربيته



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

ثانيا : التحليل في الاصطلاح:

هو ارجاع الآية الى عناصرها المكونة لها وبيان اجزائها، ووظيفة كل منها، والتعرف على انواع العلاقات بين مفرداتها، مع بقاء الكلمات نفسها في الجمل أو الجمل الأخرى.(27)

وقال محمود عكاشة: هو تفكيك النص وحلّه الى وحداته التي تسهم في بنائه الشكلي ودلالاته، للتعرف على وظيفة كل عنصر منها في الخطاب، واثره فيه لاستنباط اسراره ومقاصده.

ان مسألة التحليل هي بيان أصل المفردة، وعلاقتها بالموضوع الذي سيقت له، وبيان دلالتها، مع ذكر الاشارة أو الايحاءات التي تحويها وعلاقة المفردة بالجملة والمفردة، ومطابقة المفردة للمعنى المساقاة من اجله، والوقوف على جميع ما يمكن الوصول اليه من العلاقات والعلل على اختيار لفظه دون غيرها.

أهمية موضوع تحليل النص القرآني:

1. ان أبرز ما يميز هذا المنهج أنه شامل؛ لأنه يعتمد كل ما يمكن أن يدخل في فهم النص القرآني من علوم تعين على فهم النص والوصل الى الغاية المرجوة، فهو يعتمد كبريات مسائل القرآن نفسه؛ لأن بعض الاحكام جاء مجملا في موطن يُبين في موطن آخر، ومما يعتمد في تحليل النص القرآني الحديث الشريف؛ لان السنة الشريفة جاءت مبينة لما اجمل في القرآن الكريم، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ} [إبراهيم: 4] ومما يفيد المحلل كتب التفسير المعتمدة، وعلوم القرآن، وآيات الاحكام، وقصص الأنبياء، وتاريخ الامم الماضية، اصف الى ذلك علوم اللغة من نحو، وصرف، وبلاغة، وعلوم القرآن؛ لأن القرآن جاء بلغة العرب، وغيرها مما يمكن ان يخدم المحلل.

2. يتميز هذا المنهج بأنه يحمل الباحث على التفكير، واجالة النظر، لاستخراج ما يستفاد من

ترجمة آيات القرآن وبيان معاني الألفاظ الواردة في القرآن لا بُدَّ من بيان وحلّ هذه النقطة أيضاً، وهي أنه يجب أن نرى هل الكلام الذي يتم الاستدلال به مراداً للمتكلّم أو ليس مراداً للمتكلّم؟ فإن لم يكن ذلك الكلام مراداً للمتكلّم فلن يكون بالإمكان الاستدلال به... وعلينا أن نعلم أن القرآن الكريم يشتمل على الكثير من الكلام غير المقصود. ومن ذلك: قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ} (الأعراف: 40). ويمكن الشاهد في عبارة: {حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ}، حيث لا يمكن الاستدلال بها، والقول بإمكان أن يلج الجمل في ثقب الإبرة؛ إذ ليس هو المراد الجدّي في هذه الآية، وإنما المراد هو مجرد بيان عدم الإمكان وامتناع دخول الكفار والذين كذبوا بآيات الله إلى الجنة. كما لا يمكن الاستدلال بهذه الآية على أن للسماء بوابة؛ لأن الكلام في هذه الآية لم يرد لبيان هذا المعنى، وإنما هو لمجرد بيان الحرمان من رحمة الله. وهناك الكثير من هذا النوع من الكلام غير المقصود في القرآن الكريم؛ حيث لا يمكن الاستشهاد والاستدلال به على أنه هو المعنى الأصلي المراد منها (25)

التحليل في اللغة وفي الاصطلاح

اولا : التحليل في اللغة:

التحليل مصدر حلل، يقول ابن فارس: ان فروع هذا الاصل كثيرة، وأصلها كلها عنده ترجع الى معنى واحد وهو: فَتَّحَ الشَّيْءَ، وقال: لا يشدُّ عنه شيء يقال حَلَّتْ العُقْدَةُ حَلًّا (26). أي اذا فتحتها، ومثله في المعجم الوسيط؛ إذ يقول: وحل (الشيء رجعه إلى عناصره يقال حلل الدم و حلل البول، ويقال حلل نفسية فلان درسها لكشف خباياها).

والتحليل على وزن تفعيل، وهو للمبالغة والتكثير، وجاءت لفظة التحليل في استعمال العرب بمعنى التفكيك والتفكيك والاستخراج



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

ثقة الفرد بدينه من خلال استجلاء الظواهر المعجزة فيه. بل يتعدى ذلك ويكون له غاية وهدف دفاعي عن وحيانية القرآني واعجازه.

10. بما ان القرآن الكريم المعجزة الخالدة ، وأنه صالح لكل عصر، فان منهج تحليل النص يجمع بين الاصاله والمعاصرة، من خلال اظهار صور الإعجاز العلمي التي سبق بها الآخرين بقرون من خلال الاشارات العلمية في القرآن، مع العلم بالبيئة التي كان يعيشها النبي(صلى الله عليه واله وسلم).

11. كما ان تحليل النص منهج عملي يساعدنا في بناء خطاباتنا على غرار ما فيه من الدقة اللغوية والعلمية، والمنهج الحكيم في حواراته، واسلوبه العلمي في المناظرة والافتتاح ، مع مراعاة الجانب الانساني والزمني والمكاني. فهو خير مرشد للأديب والبلوغ والخطيب.

مصادر تحليل النص القرآني:

ان تحليل النص القرآني يستمد مادته من مصادر يرجع إليها المحلل للنص عند تحليله للنص، وهذه المصادر هي: القرآن الكريم نفسه ، والسنة المطهرة ، وأقوال أهل اللغة، وكتب التفسير؛ ونبينها بهذا الاجمال :

أولاً: القرآن الكريم :

لقد اسس القرآن الكريم مجموعة من القواعد المعرفية التي يمكن الرجوع اليها في فهم خطاباته، فهو يقوم ببيان بعض الآيات بآيات أخرى لعلاقة بينهما، وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، فالقرآن الكريم يعد المصدر الأول لبيان معانيه؛ لأن المتكلم به عز وجل ، وهو أولى من يوضح مراده بكلامه؛ فإذا تبيّن مراده به منه ، فإنه

النص، وهذا لا يتأتى الا بوقفات طويلة على مفصل النص، وظلال النص ، وتأمل بالغ للوصول الى أقرب المعاني للواقع.

3. ان الخطوات العلمية المتبعة في منهجه تنمي لدى الباحث عملية الاستنتاج واكتشاف العلاقات بين الآيات، وتنمي لديه دقة العمل ، والقناعة بسبب الاختيار والترجيح.

4. ان هذا المنهج يحمل الباحث على مراجعة علوم كثيرة بسبب المستويات المتعددة التي يبحثها ، أو لإثبات قضية ما، أو أنه يقف على رأي لم يطع عليه مسبقاً، وهذا بالتالي يؤدي الى زيادة الحصيلة العلمية الباحث.

5. ان عملية تحليل النص ميدان تطبيقي للعلوم النظرية، التي درسها الباحث خلال مراحل حياته العلمية، إذ ان القبلية المعرفية تتضافر للوصول الى ادق مراتب الفهم.

6. ان أجود طريقة للتعايش مع جو النص هو منهج تحليل النص؛ لأنه يكشف عن الدقة في التعبير ، وترابط السياق ، الاختيار المناسب للكلمات ، وتقديم بعضها على بعض ، وحذف كلمة، أو اظهار أخرى، وغيرها.

7. خير مكان لظهور شخصية الباحث وما يمتلك من قدرات معرفية هو تحليل النص؛ لأن من خلاله تظهر قدراته من حيث العرض، والتنسيق، والاستنتاج، واكتشاف العلاقات بين المفردات والجمل، والترجيح المبني على الدليل.

8. يمكن الاستفادة من هذا المنهج كأسلوب عمل للحياة اليومية إذ بالوقوف على هذا الكم الهائل من العلوم والمعارف حري بنا ان نطبق هذا ولو بالقدر المستطاع فهو منهج معرفي أو اجتماعي.

9. بما أن المستويات التي تدرس فيه متعددة؛ كالمستوى العقدي، والعملية، والاخلاقي، فله غاية تنويرية تعمل على تقوية الايمان و زيادة



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

(صلى الله عليه واله وسلم) واهل البيت في فضل العبادات.

الثانية: ان تكون السنة مُبَيَّنَةً للقرآن الكريم؛ أي أن تُكُون بَيِّنَاتًا لِمَا أُريدَ بِالقرآنِ الكريمِ وَتَفْسِيرًا لَهُ، كقول الصادق (عليه السلام) (في قول الله عزّ وجلّ: { إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا } قال: مفروضاً). وعن أبي بصير - يعني المرادي - قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: (صلاة الوسطى صلاة الظهر وهي أول صلاة أنزل الله على نبيّه (صلى الله عليه واله وسلم)) (29)

الثالثة: أن تُكُون السنة مُؤَسَّسَةً أي مشرعة لِحُكْمٍ لم يرد في القرآن الكريم إيجابه أو تحريمه. (30)

كما في حديث القاسم بن سليمان قال: (سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن رجل قتل أمه أيرثها؟ قال: سمعت أبي (عليه السلام) يقول: أيما رجل ذو رحم قتل قريبه لم يرثه) (31). فهذا الحكم لم يرد في القرآن الكريم، ولكن السنة الشريفة أسست له، وشرعته.

ومن خلال ما تقدم لا بد لمن يشرع في تحليل النص القرآني من الرجوع الى السنة الشريفة لمعرفة أحكام الشريعة من صاحبها؛ لأنه أعرف بها من غيره.

ثالثا: علوم اللغة العربية: بما أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب فلا بد لمن يخوض في هذا العلم من أن يكون مطلعاً على علوم العربية حتى يعرف طرائق أداء المعنى، وأساليب الخطاب حتى يقف على تلك المعاني، التي اتبع بها القرآن منهج العرب في لغتهم، فعن أبي يعقوب البغدادي، قال: قَالَ ابْنُ السَّكِّيتِ (32)، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الرِّضَا (عليه السلام): (... إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا (صلى الله عليه واله وسلم) فِي وَفْتِ كَانِ الْعَالِبُ عَلَى أَهْلِ عَصْرِهِ الْخُطْبَ وَ الْكَلَامَ وَ أَظْنُهُ قَالَ الشَّعْرُ، فَأَتَاهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

لا يُعَدِّلُ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ. فَهُوَ أَوْلُ مَسْتَوَى مِنْ مَسْتَوِيَاتِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَإِنَّهُ مِنْ أَبْلَغِ التَّفَاسِيرِ، فَإِنَّ اللُّجُوءَ إِلَى بَعْضِ الْآيَاتِ فِي فَهْمِ وَتَفْسِيرِ آيَاتٍ أُخْرَى مِنْهُجِ عِلْمِي سَلِيمٍ، وَقَدْ وَضَعَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أُسَاسَ هَذَا الْمَنْهَجِ بِقَوْلِهِ: (القرآن ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض) (28)

ومن امثلة تفسير القرآن بالقرآن هو تفسير الامام علي (عليه السلام) لقوله تعالى: { وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } إذ فسرها عن طريق ردها الى قوله تعالى: { وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ } فاستخرج من الآية الأولى والثانية أن أقل مدة للحمل هي ستة اشهر.

فالرجوع الى آيات من القرآن الكريم لتفسير آيات اخرى مبدأ اساس من مبادئ اكتشاف المعاني القرآنية، وحمايتها من التحريف والتزييف، لاسيما في مجال العقيدة والفكر.

ثانيا: السنّة النبوية الشريفة:

ان المصدر الثاني لفهم القرآن الكريم السنة النبوية، وهي مصدر متفق عليه؛ لان مهمة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) هي هداية الناس الى الصراط المستقيم، وهذه الهداية تقوم على البيان، والتوضيح لمعالم الشريعة؛ وهذا ما صرح به الكتاب الكريم والسنة الشريفة، أما الكتاب لقوله تعالى: { وَانزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ } وقوله تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِتُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }

ومن خلال تتبع علاقة القرآن الكريم بالسنة الشريفة نجدها لا تخلو واحدة من ثلاث وهي:

الأولى: أن تكون مؤكدة لما في القرآن الكريم، فيكون توارد القرآن الكريم والسنة الشريفة في الحكم الواحد موافقة له من كل وجه، كما في كثير من احاديث الرسول



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

- (12) يُنظر: ((الغيث الهامع)) لأبي زرعة العراقي (ص: 115)، ((التحبير)) للمرداوي (6/2874)،
 (13) يُنظر: ((تشنيف المسامع)) للزركشي (331/1)،
 ((تيسير الوصول)) لابن إمام الكاملية (2/228)
 (14) يُنظر: ((المستصفي)) للغزالي (ص: 196)،
 ((المهذب)) لعبد الكريم النملة (3/1195)
 (15) بابك أحمدي، ساختار وتأويل متن (بئية وتأويل النص): 523، و537، و589،
 (16) نفس المصدر
 (17) راهنماي نظريه أدبي معاصر (مرشد النظرية الأدبية المعاصرة): 135، ترجمه إلى اللغة الفارسية: عباس مخبر، انتشارات طرح نو، ط2، طهران، 1377 هـ.ش.
 (18) السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن 1: 4
 (19) أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن 1: 79
 (20) نظر: أحمد بن محمد ابن عجيبة، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد 1: 50، تحقيق: أحمد عبد الله قرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي، القاهرة، 1419 هـ\|
 (21) انظر: محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون 2: 381، دار الأرقم، بيروت.
 (22) انظر: أبو الحسن بن محمد بن طاهر العاملي، مرآة الأنوار ومشكاة الأبرار (مقدمة تفسير البرهان): 15، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1419 هـ.
 (23) أبو عبد الله محمد بن عمر الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) 1: 95، دار إحياء التراث العربي، ط3، بيروت، 1420 هـ.
 (24) في ما يتعلّق بتعريف التفسير العلمي انظر: أمين الخولي، مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب: 217، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1995 م.
 (25) انظر: السير السيد أحمد خان الهندي، تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان 1: كز، كج.
 (26) ابو الحسن : احمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، ط1- 1404 هـ، طبع ونشر: مكتب الاعلام الاسلامي، قم - ايران 2: 20

مَنْ مَوَاعِظِهِ وَ حَكْمِهِ مَا أَبْطَلَ بِهِ قَوْلَهُمْ وَ أَثَبَّتْ بِهِ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ..)

إذاً من خلال المعرفة والتحليل الدقيق لعلوم اللغة نستطيع تصور تلك المستويات من الإعجاز التي جاء بها القرآن الكريم، فمن لا حظ له بعلوم العربية لا يمكنه الخوض في هذا المضمار.

رابعاً: الاطلاع على تاريخ العرب: ان الاطلاع على تاريخ العرب يُوقف المحلل على أجواء النص وأسبابه، والوقوف على أحوال من كان يعيش معهم من الشعوب والقبائل الأخرى؛ لأن القرآن الكريم له موقف مما كان سائد من العادات والتقاليد فقد امضى بعضها، وحرّم بعضها، كما تناول تاريخ تلك الشعوب على سبيل التعريض تارة، وأخرى على سبيل العبرة، وغيرها من مبررات التعرض لتلك الشعوب.

الهوامش:

- (1) أنظر نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، 2005، ص22
 (2) أنظر أحمد فهد صالح شاهين، النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، -2015
 (3) أنظر مدخل إلى التداولية، مارتن براموبس، ترجمة علي يوسف أسعد، ص 11
 (4) المرجع السابق ص 11
 (5) علي يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديدة المتحدة، لبنان، ص13
 (6) وائل حمدوش، التداولية، دراسة في المنهج.. ومحاولة في التصنيف ص4
 (7) علي يوسف مدخل إلى التداولية، ص28
 (8) المرجع السابق، ص 29
 (9) المرجع السابق، ص 29
 (10) مارتن براكوبس، مدخل إلى التداولية، ص30-31
 (11) يُنظر: ((المستصفي)) للغزالي (ص: 196)



مجلة كلية الطف للعلوم الانسانية والاجتماعية

11. النملة، عبد الكريم. المهدب .
12. أمحمدي، بابك. بنية وتأويل النص .
13. مخبر، عباس (مترجم). مرشد النظرية الأدبية المعاصرة .
14. الطباطبائي، محمد حسين. الميزان في تفسير القرآن .
15. الطوسي، محمد بن الحسن. التبيان في تفسير القرآن .
16. ابن عجيبة، أحمد بن محمد. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله قرشي رسلان .
17. الذهبي، محمد حسين. التفسير والمفسرون . بيروت: دار الأرقم .
18. العاملي، أبو الحسن بن محمد. مرآة الأنوار ومشكاة الأبرار .
19. الرازي، فخر الدين. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي .
20. الخولي، أمين. مناهج التجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1995 .
21. أحمد خان، السيد. تفسير القرآن وهو الهدى والفرقان .
22. ابن فارس، أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة . تحقيق: عبد السلام هارون .
23. الحمداني، محمد صالح. منهج التفسير التحليلي للنص القرآني. بغداد: مركز البحوث الإسلامية المعاصرة .
24. الشريف الرضي. نهج البلاغة .
25. الحر العاملي، محمد بن الحسن. تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة .
26. ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين. القاهرة: دار الحديث .
27. الحكيم، محمد تقي. الأصول العامة للفقهاء المقارن. بيروت: المؤسسة الدولية .
28. الكليني، محمد بن يعقوب. الكافي.
- (27) الحمداني: محمد صالح: منهج التفسير التحليلي للنص القرآني. ط1- 2009 هـ , نشر مركز البحوث الإسلامية المعاصرة , بغداد العراق : 13
- (28) الشريف الرضي: نهج البلاغة 2: 17.
- (29) الحر العاملي : تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة 4: 22.
- (30) ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب: إعلام الموقعين عن رب العالمين، ط1- 1973، تح: عصام الدين الصبابي، نشر: دار الحديث، القاهرة- مصر. 2: 527 , والحكيم: محمد تقي: الأصول العامة للفقهاء المقارن، ط4- 2001م، طبع ونشر: المؤسسة الدولية، بيروت- لبنان. 242.
- (31) الكليني : محمد بن يعقوب: الكافي 7: 140.
- (32) ابن السكيت- بكسر السين وشد الكاف-. هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الدورقي الأهوازي الشيعي أحد أئمة اللغة والأدب، ذكره كثير من المؤرخين واثنوا عليه و كان ثقة جليلا من عظماء الشيعة و يعد من خواص الامامين التقيين عليهما السلام و كان حامل لواء علم العربية و الأدب و الشعر و اللغة و النحو، له تصانيف كثيرة مفيدة منها كتاب تهذيب الألفاظ و كتاب إصلاح المنطق قتله المتوكل في خامس شهر رجب سنة 244.
- المصادر:
1. باديس، نرجس. المشيرات المقامية في اللغة العربية. 2005.
 2. شاهين، أحمد فهد صالح. النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة. إربد: عالم الكتاب الحديث للنشر والتوزيع، 2015 .
 3. براكوبس، مارتن. مدخل إلى التداولية. ترجمة: علي يوسف أسعد .
 4. يونس، علي. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب . لبنان: دار الكتاب الجديدة المتحدة .
 5. حمدوش، وائل. التداولية: دراسة في المنهج ومحاولة في التصنيف .
 6. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد. المستصفى .
 7. العراقي، أبو زرعة. الغيث الهامع .
 8. المرادوي، علاء الدين. التحيير .
 9. الزركشي، بدر الدين. تشنيف المسامع .
 10. ابن إمام الكاملية. تيسير الوصول .